

المحور 2 : خصائص وطبيعة الفكر الفلسفي

1. الفلسفة من الميثوس الى اللوغوس
2. خصائص ومناهج الفلسفة

1. الفلسفة من الميثوس الى اللوغوس:

تمثل الفلسفة انتقالا من نمط التفسير الأسطوري الغيبي الى التفسير العقلاني، وفي عبارة أخرى انتقال من الميثوس الى اللوغوس.

الميثوس (Mythos) هو مصطلح يوناني الأصل يشير إلى الأسطورة أو القصص ذات الطابع الاسطوري بما تحتويه من أبطال وآلهة وغيرها من الأمور الخارقة ذات الأصل الغامض، سواء كانت دينية أو ثقافية. غالبًا ما يُستخدم كبديل لكلمة "أسطورة" لتجنب الدلالات السلبية، حيث يشير إلى مجموعة القصص المترابطة في تراث معين. في الفلسفة، يقابل "الميثوس" مفهوم "اللوغوس" (Logos) الذي يمثل العقل والمنطق والفكر. وهو مفهوم يوناني قديم له معاني متعددة مثل "الكلمة"، "العقل"، "النظام"، و"القانون الكوني". في تاريخ الفلسفة، يمثل اللوغوس العقل الكلي الذي يحكم الكون. عموما يمكن استعمال كلمة اللوغوس كبديل عن العقل ، واللوغوس كبديل عن الاسطورة. فنعني بالانتقال من الميثوس نحو اللوغوس، الانتقال من الاسطورة نحو العقلانية بصيغة مبسطة.

كانت أول سردية فلسفية مثلما وصلنا من مأثور قول أرسطو هي فلسفة طاليس المالطي (624ق.م–546ق.م) ، حيث فسر طاليس أصل الكون بالماء، وهو ما يمثل نقلة من الانتقال من التفسيرات الأسطورية عن الآلهة والأبطال في الميثولوجيا الدينية اليونانية القديمة، الى تفسير بمبدأ طبيعي ألا وهو الماء.

حيث يمثل الماء المبدأ الأول للحياة والكون. "فاذا تأملنا جواب فلاسفة ملطية الاوائل عن سؤال أصل الوجود ومصدره، سنلاحظ أنه لم يكن على النحو السردي الذي بدا في نمط التفكير الأسطوري، بل على نحو استدلالي برهاني"[1].

أما هيراقليدس فقد استعمل مفهوم اللوغوس. واعتبره القانون الأساسي للكون، والمبدأ المنظم الذي يحكم كل شيء. منظرا لأن قانون الكون والحياة هو التغير، وأصل الحياة والوجود هي النار. وهو هنا يمثل نقلة في تفسير قوانين الكون والحياة باللوغوس بدل الميثوس. وهلم ذواليك حتى تطورت الفلسفة العقلانية اليونانية في عصرها الذهبي مع سقراط وأفلاطون وأرسطو.

واذا كان يبدو أن الفلسفة تمثل قطيعة مع الميثوس وانتقالا نحو اللوغوس. إلا الأمر يحمل أوجها أخرى. ذلك أن الأساطير اليونانية القديمة والميثولوجيا الدينية تحمل في داخلها بذرة العقلانية الفلسفية التي ستولد في وقت لاحق. فقد "كان الدين اليوناني القديم قائمًا على طقوس جماعية، لكنه لم يكن هنالك فيه مرجعية نص مقدس أو عقائد، ولم يكن هناك أدب ديني بحت. لذا، فإن مصادر الميثولوجيا الاغريقية مثل نصوصً ثيوجوني لهزيود وملاحم هوميروس ليست نصوصا مقدسة، بل إنها أعمال أدبية تقدم رؤية ميثولوجية عن خلق العالم والأنساب الإلهية، لكنها لا تدعي أنها تُملي خطابات مقدسة يجب على المرء أن يؤمن بها بالضرورة".

[1] بوعزة ، ص247

كذلك تظهر الصراعات والعلاقات التفاعلية بين الأبطال والآلهة ومكونات العالم والكون وقصص الخلق العقاب والجزاء والعدالة وغيرها، التي تمثل فسيفساء من التصورات العلائقية حول الأسباب والنتائج، تحاول أن تفسر قوانين الكون والحياة وطبيعة الانسان وحياته الاجتماعية.

تمثل فلسفة أفلاطون أهم معالم الانتقال من الميثوس الى اللوغوس ، فالفلسفة المكتوبة كمحبة للحكمة (فيلوصوفيا) مثلت نمطا جديدا يختلف عن الحكمة الشفهية أو الحكمة باختصار (صوفيا). ومع أفلاطون بالذات يمكن ان نميز تلك النقلة من نمط الحكمة الشفهية نحو الحكمة المكتوبة ، وهو الوجه الآخر للنقلة من الميثوس نحو اللوغوس. ولو أن فلاسفة أيونيا والفلاسفة الطبيعيون والسفسطائيون وهرقليدس وسقراط وغيرهم مثلوا أيضا نقلة من الميثوس نحو اللوغوس. لكن مع أفلاطون ثم تلميذه أرسطو نجد بالذات فلسفة نسقية، ونصوصا تؤسس للعقلانية بحيث تعتبر المرجع الأهم للعقلانية الغربية.

مع الفكر الفلسفي يرتسم شيء جديد في الثقافة اليونانية، يمكن أن يوجز بكونه يشكل انتقالا من الشفوي الى المكتوب، من القصيد الى النص النثري، من السرد الى التفسير ... من السرد الى الاستدلال"[2].

صحيح أن النقلة من الميثوس نحو اللوغوس تمثل قطيعة مع الفكر الأسطوري والميثولوجيا الدينية، وهو الأمر الذي أدى بالذات الى تبلور الفلسفة في بلاد اليونان في هذا السياق. لكن واذا بحثنا من وجه آخر فإن الفلسفات العقلانية

[2] بوعزة ، ص246

تستعمل أيضا الأسطورة للبرهنة على أفكارها ومضامينها، فنجد أفلاطون يستعمل أسطورة الكهف ليبرهن عن زيف العالم المادي ، وعن أن الحقيقة توجد في العقل ، وكذلك يستعمل "أسطورة إر" ليبرهن عن تصوراته حول وجود حياة أخرى بعد الموت في عالم المثل، وعن تحدق العدالة فيها. وحتى في الفلسفة المعاصرة نجد استعمال الاساطير اليونانية القديمة مثلما يستعمل الفرنسي ألبير كامو أسطورة سيزيف للاشارة الى عبثية الحياة ، في سياق فلسفة العبث التي يقول بها.

وعليه يمكن القول ان النقلة التي أحدها ظهور العقلانية الفلسفية أنه "بدل الحديث عن آلهة مجسمة تفسر نظام الكون وموقع الإنسان فيه، بدأ الحديث عن مبادئ طبيعية وعقلية تؤول كل ذلك"[3]. وهذا هو القصد المبسط من عبارة النقلة من الميثوس نحو اللوغوس.



[3] أطلس الفلسفة ، 29

2. خصائص ومناهج الفلسفة

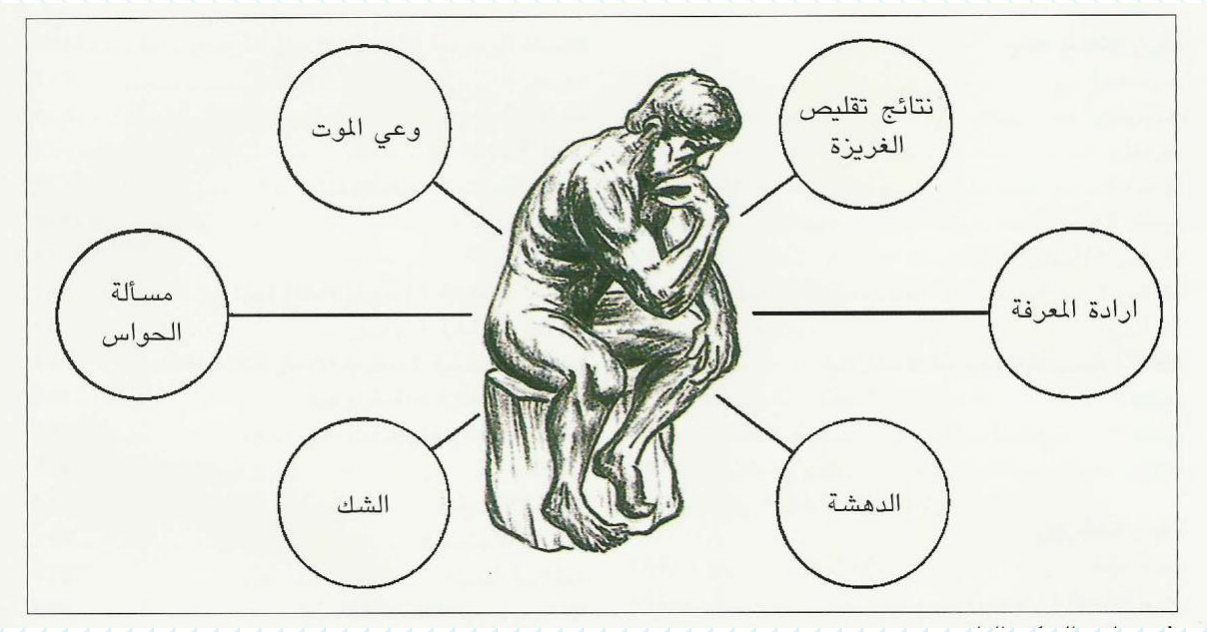
صحيح أنه لا يمكن الحديث عن منهج واحد للفلسفة، فالحديث هنا يتعسر عن منهج موحد مميز للفلسفة مثلما هو الحال مع المنهج العلمي، بقدر ما يمكن الحديث تعدد المناهج الفلسفية بقدر تعدد الفلسفات. فنجد المنهج العقلي، والمنهج المادي، والمنهج الجدلي، والمنهج التأملي وغيرها ... فالفلسفة فنشاط فكري يضم في سياقه عديد النظريات الفلسفية ، التي تتميز كل منها عن الاخرى وتختلف في المنطلقات والنتائج والمناهج والتصورات والتمثلات، وعليه يمكن الحديث في هذا السياق عن فلسفات أكثر منه عن فلسفة واحدة.

ومع ذلك يمكن تحديد مجموعة خصايات للتفكير الفلسفي تميز مناهجه على اختلافها، يمكن ذكر أبرزها في ما يلي:

- **العقلانية:** تمثل العقلانية أهم مميزات التفكير الفلسفي، لا بل انه في أحيان كثيرة يتم مرادفة العقلانية بالفلسفة، حتى أن نشأة الفلسفة ارتبطت بالنقلة من الاسطورة (الميثوس) نحو اللوغوس (العقلانية).
- **التأمل:** يشمل التأمل الفلسفي مجموعة من النشاطات الفكرية، مثل التعمق في دراسة الاشكاليات والتدبر في المعضلات التي تعترض الوعي الانساني. وهو مرحلة تلي الدهشة الفلسفية، بحيث يمثل التأمل الفلسفي وسيلة لبحث الاشكاليات من خلال مجموعة من الأنشطة مثل تقييم الموضوع المدروس أو الذات، التخطيط والتدبر، وما إلى ذلك. ويتم ممارسته من خلال التفكير الداخلي أو بمناسبة الحوار مع الآخرين، أو حتى ممارسة معينة للكتابة".

- **الرؤية الكلية**: على عكس العلوم التي تعالج مواضيع جزئية ومحددة، فان الفلسفة تتطرق في جل مواضيعها الى اشكالية كلية، تبحث في آن أحوال الانسان الداخلية وعلاقاته الاجتماعية، وقوانين التاريخ العامة، ومبادئ الكون والحياة الطبيعية. تتساءل في آن حول الراهن وتتأمل في الماضي وتستشرف المصير.
- **النزعة النقدية**: تعتبر النزعة النقدية أحد أهم النزعات الفلسفية. يشير إلى بحث منهجي في شروط ونتائج مفهوم أو نظرية أو تخصص أو منهج، ومحاولة لفهم حدوده وصلاحيته. وبهذا المعنى، تُعدّ وجهة النظر النقدية نقيضًا للوجهة النظر الدوغمائية.
- **الحجاج**: الحجاج الفلسفي هو سلسلة من الحجج والمناقشات المنظمة والمرتبة منطقياً وعقلياً لإثبات أطروحة ما أو دحضها. يعتمد هذا النوع من الحجاج مناقشة الأفكار من مختلف النواحي وتقييم قيمتها وبيان أوجه صحتها وخطئها، تقييم ايجابياتها وسلبياتها، يحيث يهدف الوصول الى الحقيقة من خلال الإقناع المنطقي وليس العاطفي.
- **التجريد**: التجريد عن تحويل الواقع الى رموز وأفكار، وبما أن الفلسفة هي أعمال العقل في العالم، أي تصور العالم بأفكار ونظريات وقوانين ومبادئ، فإن التجريد يصبح أحد أهم خصائص التفكير الفلسفي. وعليه فإن التجريد الفلسفي يعتبر أحد أهم مميزات منهج التفلسف.
- **الأشكلة**: تحفز دهشة الانسان أمام معضلات الحياة على طرح مختلف الأسئلة لمحاولة تجاوز تلك الدهشة. وهذا الأمر بالذات هو ما يحفز ظهور الأسئلة الفلسفية، التي تعالج بصفة أساسية مواضيع اشكالية.

والاشكالية الفلسفية على عكس المشكلة العلمية قد لا تصل بنا الى حلول نهائية، او قد تقود الى حلول متعددة تتعدد بتعدد النظريات الفلسفية. وهو ما يفتح باب التأويلات والأسئلة، بحيث يقود الاجابة عن سؤال الى سؤال آخر وهلم ذواليك. ومن هنا تتحول الأشكلة الى خاصية مميزة منهج التفلسف.



لا يمكننا فهم طبيعة الفلسفة وخصائصها الا من خلال فهم طبيعة التحول من الميثوس الى اللوغوس، أي من مرحلة الاسطورة الى مرحلة اللوغوس,